التّصوف الإسلامـــــي ضرورته ودوره

د. إبراهيـــم التّومـــي ـ كلية الآداب – جامعة صبراتة.

المُلخّــص:

يحـــاول هذا البحث الإحاطة قـــدر الإمكان بالدور الذي يمكن أن يلعبه التصوف الإسلامـــي في الحياة المعاصرة ، خاصة وأن الأمـــة الإسلامية قد مرت - في فترة من تاريخها- بنفس المحنة التي تعيشها اليوم، فكان التصوف عاملاً من عوامل تلطيف الأجواء وتهذيب الأهواء. من هنا تأتي أهمية التصوف الذي يجب أن نفسح له مجالاً في حياتنا؛ ليعبر عن الجانب الآخر للقضية، ويأتي ليبدد بمشكاة الأخلاق القويمة، والتأملات الروحية الرائعة ظلام هذا العصر، وحتى يكون بمثابة رد فعل مضاد للعوامل التي أدت إلى انحراف الشباب، وليكون لنا جميعاً وسيلة لتربية الضمائر، وإيقاظ الهمم، وبادرة أمل وسط هذه الأخلاق الملبدة بالغيوم، وما تشهده الحياة المعاصرة من فوضى وقلق واضطراب وغلبة النزعة المادية على حياة بعض المسلمين، وخاصة فئة الشباب منهم، وما أدى إليه ذلك من تطرف وغلو في الاتجاهات اتخذها أعداؤنا مدخلا للطعن في الدين .

الكلمات المفاتيح: الإسلام ، التصوف، الرسول، الصحابة ، انحراف الشباب

تمهيد :

يخاطب التصوف الإسلامي وجدان البشر ويهتم بتهذيب سلوكهم وترقية مشاعرهم. ولاشك في أن النزعة الوجدانية قوة أصيلة، وركيزة مهمة في بناء شخصية المسلم، ولا تقبل الشخصية الإنسانية قمع هذه النزعة، وإهدارها باسم العقل، أو باسم غيره من قوى الشخصية، فإذا حدثت محاولة لذلك، وقعت الشخصية في اضطراب عظيم ، ليس ذلك كنتيجة لاختفاء قوة من هذه القوى الضرورية فحسب، ولكن؛ لأن القـــوّة المتحيف عليها لا تنتهي ، وإنما تتحفز للصراع، وتتوثب للغلبة ، وبهذا تتحلل هذه القوى وتضيع هباءً وتضل من هنا شخصية الإنسان ، ومن هنا يأتي التصوف ليحافظ على قوى النفس جميعها، فيحقق التوازن النفسي والاعتدال، فيقي بذلك الإنسان من القلق والخوف والاهتزاز. والمجتمع الإسلامي في أمسّ الحاجة إلى ما يمكن تسميته بـ"النموذج الصوفي "؛ لأن كل شيء من حولنا يهتز ويخور، والقيم الأخلاقية آخذة في الاضمحلال، والشباب حينما يفقدون القدوة يندفعون تحت تأثير الإحباط نحو الجريمة.

1ـ **نشأة التصوف الإسلامي:** بدايـــة تجدر الإشارة إلى أن التصوف الإسلامي يجب أن لا يفهم من حيث هو محاولة لبلوغ اللامتناهي والاندماج به؛ ذلك لأن هذا يتنافى مع العديد من التعاليم الدينية في الإسلام. فهنالك: أولاً، مفهوم التسامي الإلهي المطلق الذي عبر عنه القرآن الكريم في الآية (ليس كمثله شيء)[1] ، فهذا المفهوم يتعارض مع فكرة الاتصال الحميم بالله. وهنالك ثانياً، الشعائر الدينية بقيودها وأشكالها الصارمة التي لا تترك مجالاً لاحتمال وصول سهل غير مشروط إلى الحقيقة القصوى، ثم هنالك ثالثاً، المفهوم الإسلامي للوحدة، أو الاستمرار في حياة الإنسان بين هذا العالم والعالم الآخِر، مما يصعب معه الفصل بين الوجود المتناهي والوجود غير المتناهي عن طريق التخلي عن هذا العالم . فالمسلم المؤمن مدعو لأن يتقبل هذا العالم الذي هو " دار فناء " وأن يتعلق به، بمقدار ما هو مدعو إلى نشـــدان العالم الآخِر الذي هو" دار بقاء " وإلى التعلـــق به.

على أن القـــرآن والسنة يرسمان لصلة الله بالإنسان ، وللحياة الآخِرة ، صورة أخـــرى تختلف عن الصورة التي مر ذكرها اختلافاً شديداً؛ فههنا يوصف الله بأنه أقرب إلى المؤمن **(مِـــنْ حَبْلِ الْوَرِيـــــدِ)** [2] ، وبأنه كلي الوجـــود وكلي العلم ، حيث يعلم كل أعمال الإنسان، ويقرأ جميع أفكاره . أما الخيرات الزائلة في هذه الحياة، فتوصف بأنها لا تعد شيئا بالنسبة إلى الخيرات الدائمة في الحياة الآخِرة.

وفضلا عن ذلك، فإن مشهد الحساب يوم القيامة قد وُصِفَ، ولاسيما في السور المكية الأولى، بتعابير تنبض بالحياة، وتثير في النفس من الرعب ما يشعر الإنسان بتفاهة الحياة وشقاء الحال في هذا العالم . وعلى ذلك لم يكن من الغريب أن يصبح " الخوف " أبلغ تعبير عن التقوى والورع . فالخوف من الله ومراقبته في السر والعلن هو الطريق إلى اتقاء عذاب الله الشديد والأمن من مكر الله **(أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)** [3].

فالخوف من الله واللجوء إليه كان أسمى شعار للسيرة الفاضلة في القرون الأولى من التاريخ الإسلامي، فالآيات القرآنية والسنة النبوية كان لها أثر في توجيه المسلمين إلى الزهد والتقشف والإعراض عن الدنيا والعزوف عن ملذاتها وعدم الاستغراق في متعتها وشهواتها، والنظر إلى متاعها على أنه زائل وقليل، وإن شدة الاهتمام بها، وكثرة الانشغال بأمـــورها تصرف صاحبها عن كثير من الخير، وتجعله مهددا بسوء العاقبة في دار الخلود. والقارئ للقرآن الكريم يجد فيه آيات كثيرة تتحدث عن هذه المعاني، وتلفت النظـــر إلى ضرورة الاهتمام بأمر الآخـــرة ، ومن نماذج هذه الآيات قوله-

تعالى- :(**مَــنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)[4] ، وقوله - تعالى-:(**مَــنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا**)[5].

وجاءت السنة النبوية فسارت على نفس المنوال، حيث نجد من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم تتجه هذه الوجهة ، ثم تأكدت الأقوال بالسلوك العملي للرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي آثـــر حياة الزهد والتقشف والبساطة وابتعد عن حياة الترف والإسراف والمتعة والتوسع في طيبات الدنيا، وفي السنة الشريفة أحاديث كثيرة عن صبره على الجوع ، ورضاه بالقليل، وإيثاره للتواضع في مأكله وملبسه ومشربه وسائر أمره، ولعلّ من أبلغ الأدلة على ما كانت عليه حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من شـــدّة وتقشف أن أزواجه أمهات المؤمنين كن قد رَغِبْنَ في شيء من السِّعة في النفقة ، واليسر في المعيشة ، فما كان من النبي - صلى الله عليه وسلم - إلاَّ أن اعتزلهن شهراً كاملاً ثم نزل عليه قوله - تعالى - : (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**) [6]، وسار جمهور الصحابة على الهدي النبوي ، فآثـــروا الزهد، وارتضوا حياة التقشف والتواضع ، ويعرف هذا بالرجوع إلى سيرة كبار الصحابة، حتى من كان منهم غنيا كعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف – رضي الله عنهما - اللذين كانت أموالهما مبذولة في الخير والبر وتجهيز الجيوش ومعاونة الفقراء والمحتاجين ، أما حياتهما الشخصية والأسرية ، فلم يكن فيها سرف الأغنياء أو تبذير المترفين ، وقد وصف عثمان بأنه " كان يُطْعِم الناس طعام الإمارة ويدخل إلى بيته فيأكل الخل والزيت "[7] ،

وهكذا كان الزهد هو طابع الحياة في عهد الصحابة ، وقد اعترف لهم بذلك من جاءوا بعدهم فقالوا: إن زهد الصحابة في الحلال كان أكثر من زهد من جاءوا بعدهم في الحرام [8] ، ووصفوهم بأنهم كانوا يتركون تسعة أعشار الحلال خشية أن يقعوا في الحرام؛ وذلك لما كانوا عليه من الورع الذي هو وثيق الصلة بالزهد ، ووصفهم الحسن البصري - وهو من التابعين - بقوله: " والله لقد أدركت أقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يتأسفون على شيء منها أدبر، ولَهِيَ أهونَ عليهم من هذا التراب"[9]، وقد كان الزهد هو البيئة الطبيعية التي نشأ فيها التصوف ،

وهو ما أشار إليه "ابن الجوزي " ـ وهو من أكبر نقاد التصوف ـ في كتابه " تلبس إبليس " بقوله: "الصوفية من جملة الزهاد ... إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وتوسموا بسمات ... والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي"([10]).

ذلك كان ديدن الصحابة ونهجهم ، والزهد كان طابع الحياة في زمنهم، ولكن سرعان ما تغير حال المسلمين وتدهورت أوضاعهم، وشهد تاريخهم تغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية. ففي عهد الخليفة عثمان بن عفان برزت تأثيرات المردودات الاقتصادية المهمة على المجتمع إثـــــر حركات التحرير والفتح حتى توضحت الفوارق الطبيعية بين الفقراء والأغنياء ، وفي عهد علي بن أبي طالب تفاقم الصراع بين المسلمين، وباتوا في شقاق مدمر، وانقسم المسلمون ـ إثر الحرب التي دارت بين علي ومعاوية بعد مقتل الخليفة الثالث "عثمان بن عفان " ـ إلى فرق متناحرة، بعضها مع علي وبعضها مع معاوية، وبعضها مع طلحة والزبير، وانقسم جيش علي بعد واقعة التحكيم، وظهر الخوارج ورأى فريق من كبار الصحابة أن يعتزل هذه الطوائف المتحاربة فراراً من الفتنة، وإيثاراً للسلامة، وطلبا للسكينة، وخوفا من التورط في قتل المسلمين، ولزم هؤلاء منازلهم ومساجدهم "وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة ولعل هؤلاء كانوا يستحضرون في أذهانهم بعض أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - التي تحدث فيها عن وقوع بعض الفتن، ولما سئل عن طريق النجاة منها قال في بعض حديثه: " **امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابْكِ من ذِكرِ خطيئتك** " ([11])، الأمـــر الذي أحدث ردة فعل نفسية خطيرة دفعت بعض الصحابة والتابعين نحو اعتزال كل الفرق، أو الميل نحو التقشف والانطواء والتعويل على التواصل الروحي بين الإنسان ودينه والاكتفاء بقراءة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة واتخاذ الذكر والقص وسيلة للاتصال بين العبد والمعبود .

وكان لظهور الدولة الأموية وما اتصفت به من ابتعادها عن نظام الشورى وتعويلها على النظام الوراثي، وتفاقم الثورات الداخلية، وجنوح بعض خلفاء بني أمية إلى الترف والدعة، إلى جانب تسلط الخلفاء والولاة، وظهور الفرق والأحزاب السياسية، وانحسار دور الفقهاء في المجتمع والدولة، وعودة العصبية القبلية وتشجيع الخلفاء للعنصر العربي، مدعاة لانزواء بعض الموالي من غير العرب الذين أسلموا وتثقفوا بالدّين الإسلامي وتعويلهم على الجانب الروحي سبيلا للإعلان على رفضهم لهذه السياسة، وللإعلان في نفس الوقت عن حضورهم السلبي في المجتمع، مثل هذا الواقع جعل من الزهد سلوكا دينيا واجتماعيا ضد هذه التحولات، انبثق عنه فيما بعد التصوف، فكان من أسباب ظهور التصوف تردي الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية والروحية.([12]) .

فالأوضاع السياسية تمثلت فيما ترتب على الحرب التي دارت بين المسلمين حول منصب الخلافة أو حول مسألة الإمامة، وهي حرب بدأت ـ بالفتنة في أواخر عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ وانتهت بقتله، ثم اشتد لهيبها في عهد علي بن أبي طالب ـرضي الله عنه.

ولم يقتصر أمر هذه الحروب على الصدر الأول للإسلام، بل استمرت فيما بعد وتعددت أسبابها، وكان بعضها امتداداً لانقسام المسلمين إلى سنة وشيعة وخوارج، وكان بعضها بسبب إثارة العصبيات العرقية على يد بعض الحكام والولاة، وصفحات التاريخ الإسلامي مملوءة بأخبار الحروب بين اليمنيين والمضريَّين وأمثالهم، كما تمتلئ بالحديث عن المصادمات التي وقعت بين قوميات متعددة كان الحكام يستعينون بها في إنشاء الجيوش الموالية لهم، ومن هؤلاء الفرس والترك والسودان وأمثالهم، كما وقعت الحروب بسبب الخروج على الدولة مثلما وقع من الخوارج الزنج والقرامطة أمثالهم. فكان لهذه الفتن أثر في أن يعتزل فريق من الناس ضجيج الحياة وصخبها، ويخلدوا إلى نوع من العزلة تورُّعاً عن الوقوع في الفتن وإيثارا للسلامة، وهرباً من ظلم المسلمين أو سفك دمائهم .

ومن الناحية الاجتماعية ما طرأ على حياة المسلمين من صور السلوك وأنماط العيش التي لم تكن معروفة في عهد الصحابة ومن سار على نهجهم من التابعين. فعلى حين كانت حياة هؤلاء تتميز بالبساطة في المأكل والمشرب والملبس والمسكن وفي سائر أمور حياتهم، إذ بالحياة الاجتماعية تنحو نحو التغير التدريجي الذي ابتعد بها قليلاً عن نموذج الحياة في عهد الصدر الأول من الإسلام، فوجدت أنماطا من الحياة لم تكن مألوفة من قبل، فظهر التفنُّن في الطعام والشراب والمآدب، وبرزت الواناً من اللهو تبدت في مجالس الغناء والقيان والشراب، وكان للتأثر ببعض الشعوب كالفرس أثر كبير في هذا التحول والانتقال، وظهر الترَف المسرَف في صور تصدم الشعور المرهف، وتستثير أهل الحاجة والفقر والمسكنة.

وكتب التاريخ تروي الكثير من الأخبار، من ذلك ما رواه "شمس الدين الذهبي " في كتابه "دول الإسلام " عن حفلات الزواج والختان التي تُنْفَقُ فيها الأموال الطائلة بمئات الألوف، بل بالملايين من الدنانير والدراهم أحيانا، " فالمأمون" دفع في مهر زوجه ألف حصاة من الياقوت ، ووقد شموع من العنبر في كل واحدة منها مائتا رطل، وبسط لها الفرش المنسوجة بالذهب المكللة بالياقوت، وأنفق أبوها (الحسن بن سهل وزير المأمون) في أيام العرس خمسين مليوناً من الدراهم .(كذا) ([13]) وتزوج ابن (الخليفة المتقي) من ابنة ناصر الدولة البويهي فكان الصداق خمس مئة ألف درهم، والنحلة مئة ألف

دينار ([14]) ، وختن (المقتدر) خمسة من أولاده فأقام حفلا تكلف ستة مئة ألف دينار، وبنى (مُعِزُّ الدولة) داراً غرم فيها ثلاثة عشر مليوناً من الدراهم، ويقال: انفق عليها مليونين من الدنانير ثم لم يسكنها ([15])، وكان هذا الإنفاق المسرف الفاحش متسقاً مع أنواع الملكيات التي تثير الدهشة والعجب، والتي نصادفها في أخبار الخلفاء والحكام وأقربائهم ورجال الطبقة العليا في المجتمع.([16])

وعلى حين كان هؤلاء يعيشون هذه الحياة المترفة الناعمة كانت الكثرة من الرعية تعاني شظف العيش وقسوة الحياة وضيق ذات اليد وكانت فريســـة لألوانِ الضُّـــرِّ التي كانت تترادف عليها من أوبئة وأمراض وغلاء ومصادرة لأموالِ منْ يعرِف المال طريقه إليهم لِوْهن الأسباب وتقلب الأحوال أو وقــوع هذه الأموال في أيدي اللصوص الذين كان لهم بأس وقوة شديدة حاربوا بها الدولة في بعض الأحيان.

ولم يكن التغير الذي أصاب المجتمع الإسلامي في ذلك التاريخ ـ وخصوصاً تحت حكم العباسيين ـ متصلاً بالترف والثروة وحدهما، بل إن التغير كان يشمل جوانب متعددة من الحياة الاجتماعية، وليس أدل على ذلك من المصير الذي لاقاه (الخليفة المهتدي ت 256هـ) حينما حاول أن يعود بالمسلمين ـ في عهده ـ إلى قريب ما كان عليه الصدر الأول من الإسلام، وأن يحملهم على منهـــج الحياة في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وآل بيته والخلفاء الراشدين " فحرَّم الشراب ، ونهى عن القِيان، وقلَّل من اللباس والفرش والمطعم والمشرب، وأخرج آنية الذهب والفضة من خزائن الخلفاء فكُسِرَتْ وضُرِبت دنانير ودراهم ... وكان يتهجد الليل ، ويطيل الصلاة، ويلبس جُبّة من شعر فماذا كانت النتيجة ؟ لقد ثقلت وطأته على العامة والخاصة... فاستطالوا خلافته وسَئِموا أيامه وعملوا الحيلة عليه حتى قتلوه ، وعنَّفوه على ما قصد من الإصلاح، أنكروا عليه ذلك لاختلاف الزمان([17])

وكانت تلك الظـــروف كلها تدفع بالكثير إلى أن يطرقوا باب الزهد، فبعضهم اختار الزهد اضطراراً؛ لأنهم لم يستطيعوا الوصول إلى الغنى أو لأنهم وَصَلوا إليه ثم حدث لهم ما أزاله عنهم بالمصادرة ونحوها، فرضوا بما هم فيه وتزهدوا ([18]) ، ولعل هؤلاء قد اقنعوا أنفسهم بالمقولة المشهورة " إذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون".

وبعضهم اختار الزهد تَدَيُّناً وكراهية للشهوات، وهربا من الحرام وإيثاراً للآخرة وطلباً لمرضاة الله تعالى. وفي ذلك يقول قائلهم: الدنيا عندنا على ثلاث منازل: حلال وحرام وشبهات، فحلالها حساب، وحرامها عقاب، وشبهاتها عتاب، فخذ من الدنيا ما لابد لك منه " . ويقول غيره : لو زهد أحد في زماننا هذا (أواخـــر القرن الثاني هجري)

حتى يكون كأبي الدرداء في الزهد ما سميناه زاهداً. قيل: ولما؟ قال: لأن الزهد عندنا إنما يكون في الحلال المحض، والحلال المحض لا يُعْرف اليوم [19] . (فكيف نحن اليوم وما أشبه واقعنا اليوم بواقع المسلمين في القرن الثاني الهجري ـ السلبي منه طبعاً ـ) .

ويعد شيوع الزهد في ذاك العصر أمراً طبيعياً، فهو ـ من جهة ـ يتصل بنموذج سابق يحاول أهل التقوى والصلاح السَّير على منواله، وهو ـ من جهة ثانية ـ يعد رفضاً للاندماج في تلك الحياة البعيدة عن هذا النموذج المثالي، ويكاد يكون هذا السلوك أمراً مصاحباً للترف والتنعم والغنى الذي تصل إليه بعض المجتمعات في بعض الأحيان، فإذا لم يكن تنعم الغنى قائماً على أساس من القيم الأخلاقية النبيلة، فإن أصحاب القلوب النبيلة والمشاعر المرهفة يرفضونه ويبتعدون عنه، ويجدون في الاستعلاء عليه نوعاً من السكينة والرضا .

ولم يكن الزهد في الدنيا عند المسلمين غاية في حد ذاته، وإنما هو وسيلة لغاية أخرى ينبغي أن تصاحبه، فهو سبيل إلى التحقيق بمجموعة من القيم النبيلة التي تصاحبه أو تترتب عليه؛ لأنه طريق إلى البعد عن الحرام، وسبيل إلى الورع الذي يلزم الإنسان بالبعد عن الشهوات، ولكي يتحقق له ذلك يجب على الإنسان أن يراقب الله تعالى، في حركاته وسكناته، وأن يحاسب نفسه فيما يحصل عليه من الرزق خشية أن يتسلل الحرام إلى رزقه دون علمه، والزهد طريقا للطاعة والعبادة؛ لأن الزاهد لا يكتفي بمجرد العزوف عن الدنيا وشهواتها، بل يتخذ ذلك منطلقاً للاستعداد للباقية ـ الآخـــــرة ـ.

1ـ مفهوم التّـصـــــوف الإسلامـــــــــي : سبقت الإشارة إلى أن الزهد كان البيئة التي نشأ فيها التصوف، حيث إن الزهاد آثروا أن يلبسوا الصوف؛ لأنه شِعار التواضع، وزيّ الصالحين، ورمز التقشف والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، وبدأ هذا الزي يميزهم عن غيرهم، ومن ثم ظهر التصوف. فما مفهوم التصوف؟

تعددت مفاهيـــم التصوف وتباينت حسب المواقف والأزمنة والظروف، فمن رأى أنه "ضبط الحواس، ومراعاة الأنفاس والتآلف والتعاطف " [20] ، أو هو ترك الفضول [21] . وقيل هـــو : العلو إلى كل خلق شريف ، والعدول عن كل خلق دنيء [22]، وما يلاحظ على تلك التعريفات أنها تهتم بالجانب العملي الأخلاقي ، ويقصد بالجانب العملي ما يهتم بتلك الوسائل التي يطبقها المتصوفة في رحلتهم الصوفية: كالذكر والمراقبة ومحاسبة النفس والزهد في الدنيا وصحبة الفقراء والزهاد.

أما الجانب الأخلاقي، فهو إدراكهم لأهمية الأخلاق وضرورة تحققها في التصوف.

وسئل السري السقطي (ت 251هـ)عن التصوف فقال: هو اسم جامع لثلاثة معانٍ، فهو لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن ينقصه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات من الله على هتك أستار الله.(23) وسئل الجنيد (ت297هـ)عن التصوف، فقال: "تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الشريعة " (24)، وهو تعريف جامع مانع ، فالتصوف رياضة للنفس ومجاهدة للطبع يبتعد بها الإنسان عن الأخلاق الرذيلة وتحمله على الأخلاق الحميدة الحسنة من: الزهد والصبر والإخلاص والصدق والحلم وغيره، تلك الخصال التي تكسب المدح والثناء في الدنيا والأجر والثواب في الآخـــــــــــرة.

والتّصوف الإسلامي في صورته النقية مقترناً بالتطبيق العملي سلوكاً ومظهراً يمثل حقيقة التأسي برســــول الله - صلى الله عليه وسلم - في أرقى صورة لهذا التأسي ، كما تجلى ذلك في صحبة الصحابة الكرام له - عليه الصلاة والسلام-

2- قيـــم التّــصــــــوف الإسلامـــــي:

أثرى الإسلام الحنيف الحياة الإنسانية بمجموعة من القيم العُليا، فمنظومة القيم في الإســـــلام هي أرقى ما عرفه الجنس البشري في تاريخه كله، وقد وازن القرآن الكريم بين نوعين من القيم: القيم الباقية، والقيم الفانية، فكانت الأولوية والرجحان من نصيب القيم الباقية، وما كان ذلك كذلك إلا لنظرة الإسلام إلى الإنسان بكليته، يعني ظاهره وباطنه، مادة خلقه وروحه العالي . لنقرأ هذه الآية القرآنية، ولنتأمل المقابلة الرائعة فيها: (**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**)(25) . يخاطب الله - سبحانه وتعالى - الذين آمنوا ويلفت أنظارهم إلى وجوب ترتيب الأولويات في المجتمع المسلم من المقابلة بين ما أشرنا إليه بهذين النوعين من قيم الحياة وفي ذلك يقول الحق - عز شأنه- : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** " (26) ، فالتصوف يقف إلى جانب القيم العليا؛ لأنها الأنقى والأرقى والأبقى، ويترفع عن كل القيم الهابطة الفانية ويتسامى عليها، ويترك الدنيا وأهلها في خوضهم يلعبون. ولا يعني ترك الدنيا الانعزال عن تيار الحياة، بل نقصد بترك الدنيا عدم مزاحمة أهلها في شعارهم اللاهث حول جمع فتاتهم من الحلال والحرام على صعيد واحد، بل إن المتصوف يؤدي ما عليه من حقوق لله تعالى ثم لخلقه،

ويعلق أمله بالله تبارك وتعالى وحده، عندها يحس بسعادة لا مثيل لها، ويكون قد جَسَّدَ عملياً قول الله - تعالى - : (**فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**)([27]) .

والقيـــم الصُّـــوفيـــــة تستمد عظمتها من عظمة الإسلام - وما أحرانا أن نتمسك بها في هذا العصر الذي غــرقت فيه المجتمعات في الآفات ومختلف النقائص والرعونات - والتي هي على التوالي :

1 - ابتغاء الإحسان في العمل .

2 - إرادة الوجه .

3 - ابتغاء فعل الخير .

4 - اعتماد مبدأ الأخوة والمساواة .

أولاً - ابتغاء الإحسان في العمل : فالإحسان والإتقان هو ما ندب إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن الله يحبه ؛ وذلك ما جاء في الحديث: " **إِنَّ اللهَ - تَعَالَى - يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ** "([28]) ، وليس الإحسان خاص بعمل دون عمل ، ولا بوقت دون وقت، ولا بمكان دون مكان، والإحســـان كما هو مطلوب في الصنائع أو الوظائف كذلك هو مطلوب في الطاعات والقربات ، والعمل للدنيا والعمل للآخـــرة يأخذ قيمته من درجة الإحسان فيه ، بل لعل الحياة برُمتها فرصة واسعة لتقدير جودة الأعمال لدى الناس، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة: (**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**) ([29]) فقد أراد الله أن يختبر الناس في الحياة ليظهر صاحب العمل القبيح من صاحب العمل الحسن، وليتميز أيضاً الحسن والأحسن، فهو ابتلاء لظهور كمال إحسان المحسنين .

والدين لا يقدر في الأعمال الوجود أو العدم ، وإنما – أيضاً- النقص أو الكمال، ولا يتفاوت الناس في الإسلام بحجم الأعمال، وإنما بنوعيتها ودرجة الإحسان فيها ، وليس الإحسان هو البحث عن الجودة في بعض العبادات ثم لسع الناس في المعاملات، بل الإحسان إلى الناس أحق بتجويد الفعل والرفق فيه ، ولعل منَّا من يعتزُ بالإتقان في الركعات حسب زعمه ولا تجد فيه من الرقة والرحمة واللطف بالآخرين شيئاً يذكر . ليس هذا من الإحسان في شيء، وإن صاحب الإحسان الحق محسن في عباداته ومعاملاته ومناجاته؛ لأن الفضيلة والإتقان ينبعان من جوهر واحد.

كما أن الإحسان أيضاً ليس معرفة عادية ولا مستوى منحصراً في الإجادة، وإنما هو الطموح نحو الشأو البعيد الجميل في كل شيء حتى يبلغ تمامه وأناقته وحسنه وجماله.

ثانياً- إرادة الوجه: في مجال التدين والفعل الديني يتخذ الإحسان دلالة خاصة؛ لأن دين الإسلام جعل منه على لسان النبي - صلى الله عليه وسلم - درجة عليا فوق درجتي الإسلام والإيمان، جاء ذلك في حديث جبريل الشهير، حيث سُئل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن الإحسان فأجاب : **" الْإِحْسَـــانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُـــدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَـــرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَـــرَاكَ "**([30]) .

وليســت الجــودة والإتقان تأتيان هنا من إضافة عبادة ولا من نقص أخرى، وإنما من إدراك ذوق آخــر في العبادات المعروفة المعلومة، ذوق الشعور بمعيَّة الله، شعور يقوى؛ لأن الإنسان تحت نظر الله وهو مخاطب ليصبر تحت هذا النظر **(وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)** ([31]) فرؤيـــة الله - عزوجل - هي الباعث القوي على الإتقان والإخلاص والنصح للناس ، وإن العمى عن هذه الرؤيـــة هو المصيبة الكبرى في شخصية المسلم ، وإن قوة المسلمـــين الحقيقية تأتي من توحدهم جميعاً في مشاهدة ومراقبة رقيب واحد .

ثالثاً - ابتغاء فعل الخير : الإحسان كمقام، والإحسان كإتقان لا يحجبان عنا الإحسان كفعل خير مطلق؛ ذلك أن أول ما ينصرف إليه الإحسان في اللغة العربية هو ما ينبغي أن يفعل من الخير ، وما فتئ دين الإسلام يؤكّد عليه في الأسرة ومع الجار ومع الصديق ومع القريب والبعيد. إنه فعل الخير مطلقاً مع البشر. ففي الإسلام دعوة إلى الاجتهاد والجهاد والمجاهدة من جهة وللإسلام ارتباط وثيق بالسلم وإشاعة الأمان وفعل الخيرات من جهة أخرى ، ولعل صفة السخاء والإحسان من بين شتى أنواع فعل الخير هي الصفة المميزة في أفعال المسلمين يؤكد سماته ما أصيبت به المجتمعات الأخرى من شح وبخل وهوى متبع وصفات مهلكة .

رابعاً - اعتماد مبدأ الأخـــوّة والمســـــاواة : للتصوف عناية خاصة بتحقيق التآخي بين أفراد المجتمع، ومن لوازم النظرة الصوفية أن الناس سواسية، وليس صوفياً على الحقيقة من يرى نفسه أعلى من بني جنسه. وهذه العناية الصوفية بمبدأ المساواة والأخوة ما هو إلا تأكيد نوعي على مبدأ إسلامي أصيل، فهم يستنيرون في هذه المسألة بقول الرسول- صلى الله عليه وسلم - : **" الْمُؤْمِـــنُ لِلْمُؤْمِـــنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا "**([32])

وقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد وضـــع هذا المبدأ موضع التنفيذ العملي حين آخى بين المهاجرين والأنصار، فاستجابوا لأمره وتبعوا هديه فجاءت الآيات البينات تثني عليهم هذا السلوك، قال تعالى: **(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ**

يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ([33])، ومبدأ الأخـــوّة والمساواة يلغي بين أهل الإيمان كل الفـــوارق؛ لأنه كما قال الحديث النبوي : (**كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**) ([34])، وكما ذكرت الآية الكريمة (**إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم**)([35]) .

أهميـــة التصـــوّف: التصوف أنواع منها المحمود، ومنها المذموم ، وليس من الإنصاف رفض المحمود منه، كذلك ـ فليس من الحكمة قبول ما يستحق الرفض منه، ويمكن أن نحتكم في القبول والرفض إلى معيارين:

أولهما: علاقة التصوف بالكتاب والسنة، فالتصوف المحمود هو ما وافق الكتاب والسنة، فالجنيد يقول: "مذهبنا مقيد بالكتاب والسنة"([36]) . ويقول الدارانـــي: " فإذا وقع في قلب واحد منهم إلهام أو فكرة فإنه لا يقبلها إلا بشاهدي عدل : هما الكتاب والسنة"([37]) .

وثانيهما: علاقته بالعقل، ومع أن الصوفية يقولون إن معارفهم الذوقية الإلهامية من طَوْر فوق طور العقل ومن مستوى أرفع منه ـ فإن أهل الفطانة منهم قد اشترطوا ألا تكون هذه المعارف مضادة للعقل أو مستحيلة عنده . وكان من هؤلاء الإمام الغزالي الذي أشاد بالتصوف إشادة بالغة ولكنه أكد على أنه لا يجوز أن يظهر في طور الولاية ما يقضي باستحالته ([38]) .

وتجدر الإشارة إلى أن التصوف قد انحدر في فترة من فتراته وانحط واتخذ أشكالاً كان الصوفية الخُلَّص يتبرؤون منها، ويتحسرون لوجودها بين المنتسبين إلى الصوفية، حتى إن أحدهم يقول: "كان التصوف حالاً فصار كاراً، وكان احتساباً فصار اكتسابا، وكان استتارا فصار اشتهارا، وكان إتِّباعاً للسلف فصار إتباعاً للعَلفَ، وكان عمارة للصدور فصار عمارة للغرور، وكان تعففاً فصار تملقاً"([39]) .

وحياة المتصوف تمتاز بأنها ذات طابع خُلُقي، حيث ينبغي أن يكون هناك التزام بمجموعة كبرى من القيم والآداب والأحوال والأعمال، فالمتصوف يكون دائماً مستحضراً لعظمة الله ـ عزوجل ـ فيقبل على طاعته : رغبة في ثوابه، وخشية من عقابه، وتوقيراً لمقامه، ورضاً ومحبةً له . والطريق إلى تلك الحياة يحتاج إلى صبر ومجاهدة، وهي كما يقول الصوفية: " طريق رأس ماله الصدق، وزاده الصبر، وقوته التقوى، فمن عَدِم الصَّدق لم يَرْبح، ومن لم يتزوَّد الصبر انقطع، ومن لم يقتت التقوى هلك " ([40]) .

فالتقوى جعلها الله - سبحانه وتعالى - ميزان الأفضلية بين عباده على اختلاف أجناسهم وألوانهم ؛ وذلك في قوله - تعالى- : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** " (41) ، وهو ما أكده نبينا - صلى الله عليه وسلم - بقوله: "**لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح** ".

والتكاليف الشرعية التي أمر بها الإنسان في خاصة نفسه ترجع إلى قسمين :

- أحكام تتعلق بالأعمال الظاهرة أو تتعلق ببدن الإنسان وجسمه،
- أعمال تتعلق بالأعمال الباطنة أو تتعلق بقلبه.

والأعمال الجسمية نوعان : أوامر ونواهٍ، فالأوامر الإلهية كالصلاة والصوم، وأما النواهي : فكالقتل والسرقة والزنى . أما الأعمال القلبية ، فهي - أيضاً - أوامر ونواه، أما الأوامـــــر: كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء كله، خيره وشره، وكالإخلاص والصدق والخشوع والتوكل. وأما النواهي، فهي كالكفر والكبر والنفاق والعجب والرياء وحب الظهور والغرور.

ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يوجه اهتمام الصحابة لإصلاح قلوبهم، وكان يبين لهم إن صلاح الإنسان متوقف على إصلاح قلبه وشفائه من الأمراض الخفية الموجودة في باطنه وهو الذي يقول : "**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً : إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ** " (42) ، والرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - يخبرنا أن محل نظر الله - عز وجل- إلى عباده، إنما هو القلب، فالله لا ينظر إلى أجسادنا ولا إلى صورنا ولكن ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا (43) .

ومادام صلاح الإنسان مربوطاً بصلاح قلبه الذي هو مصدر أعماله الظاهرة تعين عليه العمل على إصلاحه بتخليصه من الأدران وتحليته بالكمال وعندئذ يكون القلب سليماً صحيحاً ويكون صاحبه من الفائزين، قال – تعالى - : (**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**)(44) . فتنقية القلب وتهذيب النفس من أهم الفرائض العينية بدليل ما ورد في الكتاب والسنة.

فمن الكتاب قوله - تعالى- :(**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**)(45) وقال – تعالى - :(**وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**) (46) ، والفواحش الباطنة كما قال المفسرون هي : الحقد والرياء والحسد .

ومن السنة كل الأحاديث التي وردت في النهي عن الحقد والكبر والرياء والحسد، وكذلك الأحاديث الآمرة بالتحلي بالأخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة ومن ذلك الحديث

الذي أورده مسلم : " **الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ** " ([47])، فكمال الإيمان بكمال هذه الصفات، ونقصه بنقصها، وإن الأمراض الباطنة كافية لإحباط أعمال الإنسان ولو كانت قليلة ، وعلى هذا، فسلامة الإنسان في آخرته هي في سلامة قلبه، ونجاته في نجاحه في التخلص من أمراضه المذكورة ، وقد تخفى على الإنسان بعض عيوب نفسه ، فيعتقد في نفسه الكمال وهو أبعد ما يكون عنه، فما السبيل إلى اكتشاف أمراضه، والتعرف على دقائق قلبه؟ وما الطريق العملي إلى معالجة هذه الأمراض، والتخلص منها؟

إن التصوف هو الذي أختص بمعالجة الأمراض القلبية، وتزكية النفس والتخلص من صفاتها الناقصة، وهو الذي أهتم بهذا الجانب القلبي إلى ما يقابله من العبادات البدنية والمالية، ويرسم الطريق العملي الذي يوصل المسلم إلى أعلى درجات الكمال الإيماني والخلقي وليس كما يظن بعض الناس، أنه قراءة بعض أوراد وكثرة ذكر فحسب؛ فلقد غاب عن أذهان الكثيرين أن التصوف منهج عملي كامل يحدث تعديلاً جذرياً في شخصية الصوفي المسلم؛ وذلك من الناحية الإيمانية السليمة والعبادة الخالصة لله عز وجل والمعاملة الصحيحة الحسنة والأخلاق الفاضلة مع الناس، ومن هنا تظهر أهمية التصوف أو ايجابياته وفائدته ويتجلى لنا أنه روح الإسلام، وأنه مقام الإحسان وأنه قلبه النابض .

ضـــــرورة التصـــــوف الإسلامي : يخاطب التصوف الإسلامي وجدان البشر ويهتم بتهذيب سلوكهم، وترقية أرواحهم . ولاشك في أن النزعة الوجدانية قوة أصيلة، وركيزة مهمة في بناء شخصية الإنسان، لا تقبل الشخصية الإنسانية قمع هذه النزعة، وإهدارها باسم العقل، أو اسم غيره من قوى الشخصية، فإذا حدثت محاولة لذلك وقعت الشخصية في اضطراب عظيم، ليس ذلك نتيجة لاختفاء قوة من هذه القوى الضرورية فحسب، ولكن؛ لأن القوة المتحيف عليها لا تنتهي، وإنما تتحفز للصراع، وتتواثب للغلبة، وبذا تتحلل هذه القوى وتضيع هباء وتضل من هنا شخصية الإنسان، ومن هنا يأتي التصوف ليحافظ على قوى النفس جميعها؛ فهو يحقق التوازن النفسي، والاعتدال، فيقي بذلك الإنسان من القلق والخوف والاهتزاز . ونحن في أمس الحاجة للتصوف؛ لأن كل شيء من حولنا يهتز ويخور، والقيم الأخلاقية آخذة في الاضمحلال، والشباب حينما يفقد القدوة يندفع تحت تأثير الإحباط نحو الجريمة. يأتي التصوف ليبدد بمشكاة الأخلاق القويمة، والتأملات الروحية الرائعة ظلام هذا العصر، وليكون ردة فعل مضاد للعوامل

التي أدت إلى انحراف الشباب، وليكون لنا جميعاً وسيلة لتربية الضمائر، وإيقاظ الهمم، وبادرة أمل وسط هذه الأخلاق الملبدة بالغيوم . وما أشبه الليلة بالبارحة، لقد أصبحت حالة الشعوب الإسلامية يرثى لها، هناك البعد عن الله رب العالمين، وغلبة الدنيا والملذات، وأعداء الإسلام بدأوا يصيدونهم بحبائل المادة والمغريات، فليس عندنا سلاح نقاومهم به أقوى من سلاح الروح الذي يمكننا أن نكافحهم به، ونتغلب عليهم، وننقذ الشعوب الإسلامية من مكائدهم، فنحن اليوم أحوج ما نكون إلى هذا العلم ـ علم التصوف ـ والتسلح به لإحياء الدعوة الإسلامية بين الشعوب الإسلامية وفي الشعوب غير الإسلامية ولمواجهة أعداء الإسلام من المبشرين والملحدين وغيرهم .

وبذلك يمكن أن نقوم بالدور الذي قام به سلفنا الصالح في سبيل إحياء الوازع الديني الحنيف بين أبناء الأمة الإسلامية، فلا يمكن مقاومة هذا التيار المادي والإلحادي إلا بهذه القوة الروحية .

سماحة الإســـــلام والواقـــــع الإسلامـــي اليوم : ديننا الإسلامي دين السماحة والطيبة والمعاملة الحسنة، وهذه الصفات تندرج تحت مكارم الأخلاق تلك التي جاء رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه ليتممها. جاء في الحديث عنه - صلى الله عليه وسلم - قوله : " **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ** " ([48]) والإنسان المسلم في هذه الدنيا مطالب للوصول إلى مكارم الأخلاق، والأخلاق لا تكتمل إلا بالأدب، فكل أمر من أمور الدين والدنيا مربوط بالأدب، والأدب كل الأدب في اتباع المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومن كمال الأدب للمسلم تبسمه في وجه أخيه، وهو ما وجه به النبي أمته عندما قال: "تبسمك في وجه أخيك صدقة " ([49]) . فالسماحة والطيبة والبشاشة كانت صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت صفات المسلمين من بعده .

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - في الحديث عن أبي موسى: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعثه ومعاذ إلى اليمن، فقال: "**يَسِّـــرَا ولا تُعَسِّرَا، بَشِّرا ولا تُنَفِّرَا، تَطَاوَعَا ولا تَخْتَلِفَا** "([50]) ، وفي حديث رواه عنه أبو هريرة - رضي الله عنه- ، قال: " **إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ** " ،- وبهذا استحق أن يحظـــى بشـــرف التكريم من فوق سبع سموات (**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)([51]) . ومما روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: "ما خُيِّر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه".([52])

فالإسلام يقوم على حسن الخلق والمعاملة الحسنة، ورسولنا الكريم صلوات الله عليه وسلامه جاء ليتمم مكارم الأخلاق، والسنة النبوية تدعو إلى حسن الخلق عملاً بالحديث

الشريف: "أثقل ما يوضع في الميزان حسن الخلق " ([53]) ، وإلى التراحم والتعاطف" **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى** "([54]) وقوله- أيضا - :" **كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ** "([55]) ، وقوله - صلى الله عليه وسلم : " **لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ**" .

الإسلام دين الفطرة السليمة، دين الرحمة والتراحم والسماحة دين التواد والتعاطف والإيثار، وعلى قدر فقه الإنسان لمقصود تسليم الوجه لله والتخلق بخلق القرآن والقراءة في سفر الكون باسم الله، على قدر ما تنكشف له الحقائق ويدرك بسهولة ويسر قوانين الاستقامة، وهذا ما كان في صدر الإسلام عندما حمل المؤمن، الذي تقلب في مدارج الزاهدين في الدنيا، لواء الدعوة فانطلق فاتحاً يجوب المجالات الخيرة إعمالاً لقوله- تعالى :- (**كُنْتُمْ خَـــيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**)([56]) ، وعلى العكس من ذلك عندما تهاون المسلم في قيمه وأخلاقه وصار بلا هوية فقد كينونته ومصداقيته وصار إلى ما آل إليه.

فالسماحة أخي المسلم سبيل الهداية لكن هل هذا السماحة والبشاشة والطيبة موجودة اليوم بين المسلمين؟ كلا .وألف كلا .ما واقع المسلمين اليوم؟ هل التزمنا بتوجيهات رسولنا الكريم؟ كلا . لقد فقدنا سمات المؤمن وانتفى عنا وصف المؤمنين؛ إذ لم نحرك ساكناً أمام توجيهات المصطفى. فبالرغم من حديث الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -: " **مثل الْمُؤْمِنِينَ يَعْنِـــي فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَحَابِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِـــمْ مَثَلُ الْجَسَـــدِ،** "([57]) ، نجد أوصال الأمة تمزق وتلقى إلى الكلاب لتعبث بها. وحين يذكرنا بانتفاء الإيمان إن لم نشعر بإخواننا كما في الحديث :" **مَا يُؤْمِنُ مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ طَاوٍ إِلَى جَنْبِهِ** [58] ") ، نجد من المسلمين من ينفق على موائد الترف والمعاصي ما يطعم شعوباً بكاملها، منهم من يشيدون القصور بالملايين، ومنهم من يقتني السيارات الفارهة ، بل ربما حتى الطيارات، ومنهم ومنهم ومنهم ...!!!

وحين يوجهنا المصطفى - عليه الصلاة والسلام - إلى حقيقة الأخـــوة ويعظم حرمة الاجتراء على المسلم كما في قوله : "**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ** ؛ " إذ بنا نرى أبناء الرحم الواحدة يتقاتلون تستباح الأعراض والأموال على يد أبناء الأمة بعد ما خربت عقولهم، هم الذين ذكرهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - وحذرنا منهم، كما ورد عنه في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه . وغيره من الصحاح . " أن أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ

اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**». **فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، - وَهُوَ قِدْحُهُ -، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ** "[59]

لقد وقع الإسلام وشبابه في ابتلاء نتيجة التغير الذي شهده العالم نهاية القرن الماضي - القرن العشرين- الذي تغيّر فيه وجه العالم، تغيرت خريطة الأرض ، وجد ما يسمّى بالنظام العالمي الجديد ، هو نظام يكيل بمكيالين ، ينظر بمنظارين ، يغلب المصلحة على العدل، ويرجح المنفعة على الحق، الأمثلة على ذلك لا تحصى، يكفي ما يعانيه المسلمون في أنحاء شتى من العالم : في فلسطين، في كشمير، في البوسنة والهرسك، في باكستان وأفغانستان، والعراق وسوريا، وفي ليبيا واليمن ...والحبل على الغارب .

في هذا الوقت الحرج الذي يبحث فيه العالم عن هوية، بعد سقوط الشيوعية والإلحاد الرسمي الملازم لها، أخذ الأفراد والجماعات والدول يراجعون أنفسهم من جديد في تحوير موقفهم، السابق على هذا الزلزال، أو تعديله بما يوافق الموقف الحالي، فبرزت الحركات الدينية من إسلامية ومسيحية ويهودية ... وغيرها محاولة في عنف أن تحتل مركز الصدارة في النشاط السياسي والاجتماعي في هذا العالم الذي أخذ يغير جلده تحت ضغط السياسة ذات التحولات الآخذة في الإســراع، كذلك وجدت توجهات قومية وعرقية مدمرة تجول وتصول في كثير من أقطار العالم في شتى القارات، في جهد غريب شديد لتحويل العالم إلى قبائل وعشائر وقرى صغيرة متناثرة في هذا العالم الكبير، زاد الطين بلة توجه من يسمون بالمتحضرين إلى الإباحية التي تسرع إلى تفتيت الأسر وتحويل الجماعات البشرية إلى أفــراد أنانيين لا يشغلهم إلا الشبق والأنانية والفساد ، هذا يعني أن الفساد أخذ يدب في الأرض يهددها بالخراب والدمار خصوصاً وأن فيها من الأسلحة ما يمكن أن يؤدي إلى هذه النتيجة في أقل من ثانية واحدة.

الإسلام اليوم في مواجهة للخطر الخارجي والمتمثل في تحالف دول العالم على القضاء عليه ، بعد أن أصبح العــــدو الوحيد للغرب بعد ســـقوط الشيوعية ، فظهر على الساحة الدولية ما يطلق عليه النظام العالمي الجديد . فيا ترى ماذا يعني مفهوم النظام العالمي

الجديد؟.، يعني- باختصار- : نظام عالمي في محاربة الإسلام والقضاء عليه فهو عالمي ؛ لأنه نظام عالمي جديد تصطف فيه كل دول العالم الغربي إلى جانب بعضها ضد الدول الإسلامية ؛ ذلك لأن وسائل الحرب وأدواتها اختلفت ، فبعد أن كانت الحرب على الإسلام تتسم بالحروب العسكرية والتدخل المباشر من قبل الغرب ، وهي الحرب التي ابتدأت بالحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين من الزمان ولم يتمكن الغرب من القضاء على الإسلام، بل إن تلك الحرب ما زادت المسلمين إلا تمسكاً بدينهم. عاود بعدها الغرب محاربة الإسلام عن طريق سلب خيرات وموارد المسلمين فكان أن ظهر نوع آخر من الحرب لبس ثوب التعاطف على شعوب ما أطلقوا عليه مصطلح " العالم الثالث" الذي وصف بالتخلف بأنواعه ؛ ونادوا بشعار" تنمية وتطوير شعوب المنطقة "- التي أطلقوا عليها العالم الثالث - ، تحت هذا الشعار عملوا على التدخل في شـــؤون تلك الشعوب بالقوة وأخذوا يسلبونها خيراتها واحتلت عسكرياً، إلا أن تلك الشعوب بفضل إرادة وعزيمة أجدادها وآبائها تمكنت من تحرير أراضيها واستعادة كرامتها ومجدها، ولكن عين العدو لا تنام فعمل على اللجوء إلى محاربة الإسلام بنوع آخـــر من السّـــلاح وهو سلاح الكلمة الذي تمثل في الحرب الفكرية التي شنها على الإسلام؛ ذلك بأن سعوا إلى مســـخ هوية وثقافة تلك الشعوب وتشويه دينها، فوصفوا عقلية الشعوب العربية بالجمود والتخلف، شعوب غير قادرة على التفكير العقلي الحر...وصف الإسلام بأنه دين الإرهاب والقتل والشبقية والإباحية ... ونبيه (...) فعملوا على تشويه صورة الإسلام ونبيه، تلك الحرب الفكرية للآسف وجدت أذن صاغية ليس فقط عند شعوبهم بل حتى لدى نفوس المسلمين المرضى. و نسأل الله أن يحمي دينه ونبيه وأن يوقظ ضمائر المسلمين وينتصروا لدينهم ونبيهم .

إلى جانب الحرب الفكرية لجأ الغرب إلى التدخل العسكري، ولكن أداة التدخل في هذه المرة تختلف، فبدل ما كان الغربيون يدفعون بأبنائهم لساحة الحرب ويفقدونهم فيها أصبحوا يستخدمون أبناء المسلمين أنفسهم، أصبح المسلمون يقومون بالمهمة نيابة عنهم:في العراق وسوريا وليبيا واليمن وتونس !!... أصبح المسلم يرفع سلاحه في وجه أخيه المسلم، المسلم يبيح دم ومال وعرض أخيه المسلم يقتل أخاه المسلم . يسلبه ماله ويُكَبْر، يقتله بطريقة بشعة ويُكبر، يتعدى على عرضه ويُكبر!! تنتهك حرمات الإسلام من قبل المسلمين أنفسهم، حتى أصبح ينطبق عليهم قول الله عز جل: (يخربون بيوتهم بأيدهم) أرواح تزهق ودماء تسفك وأموال تهدر وأعراض تنتهك . ومن المستفيد؟ !هذا في الدنيا . وفي الآخرة ؟ ألا نُسْأل عن هذا ؟ بماذا نجيب الجبار؟ ألم يقل لنا مولانا من

قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم (ألم يخبرنا رسولنا بأن) كل المسلم على المسلم حرام :دمه وماله وعرضه .

وكما هو في مواجهة للخطر الخارجي، فإنه - أيضاً - في مواجهة للتصدع الذي ابتلي به من الداخل، فلقد ابتلي المجتمع الإسلامي بما يسمى بالأصولية، وما هي بأصولية؛ لأنها لو عادت إلى أصول الدين، واستمدت من أصوله مرجعيتها، وأخذت منه مصداقيتها لوجهت سلاحها لخصوم الإسلام والمسلمين، إلا أنها للأسف أدارت ظهرها لأعدائنا وجهت سهامها لصدورنا، فغيَّرت المنكر ـ كما تزعم ـ بمنكر أشد، فعاثت في الأرض فسادا، كان إثمها أكبر من نفعها، فالله حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

نجد شباب اليوم الواحد منهم من يلقى أخاه متجهماً مكشراً عن أنيابه وقلما تجده مبتسماً، وكأن الابتسامة صفة مذمومة أو شيء محرم، وتجده في حيُّهِ الذي يقطنه ليس له جسر واحد من جسور المودة، وكأنه لم يقرأ حديثاً واحداً يوصي بالجار الذي ظنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه سَيُورَّث من كثرة ما أوصى به جبريل الأمين وتجده في بيته متهماً لأبيه بالجهل ولأمه بالتخلف ولإخوته بالتبرج إن كان يرى نفسه معتدلاً، وبالكفر إذا زاد الحد، فتجد مسقط رأسه يلعنه بكل ما أوتي من مشاعر، والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : (**الْمُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ، وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يُأْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**) ([60])، ثم إنك تجده ساخطاً على مجتمعه كله مكفراً لدولته محرماً مال الدولة على نفسه بدعوى أنه ربوي المصدر، وإن صادفه أحد من أهل الكتاب تعمد أن يجد سبيلاً ليعامله فيؤذيه أذىً بالغاً بدعوى أن ذلك جهاد لأهل الكفر، ولو رأه متجهاً إلى الكنيسة لأداء صلواته أو لسبب ما تآمر مع أقرانه لنسف المبنى بمن فيه، ثم إنك لو كنت لا قدَّر الله مبتلٍ بشيء من المعاصي :شرب الخمر مثلاً، ونسأل الله العافية والمعافاة، لوجدته حاكماً بأمر نفسه ذا سوط بلسانه يتهمك بالكفر الواضح مهيناً لك متتبعاً لعوراتك، متفقاً مع قرنائه ليعزلوك عن العالم .

التطـــــرف الدينـــــي وبعده عن سماحة الإســـــلام : توالت الأرزاء والنكبات على الأمة الإسلامية، وتحالف عليها الأعداء من كل متجه . والواقع المرير يبرز المحنة الكبرى فما حدث في القرن الماضي من مآسٍ في فلسطين وفي البوسنة والشيشان وأرتيريا والفلبين وكشمير يندى له الجبين، إذ لم تزل صرخات نساء البوسنة وشيوخها وأطفالها تدوي في آذان صُمَّت بعدما أصابها اليأس والإحباط، ونلمس الحسرة والأسى تسكن قلب كل مؤمن رأى ما يحدث من هضم وإذلال، وما ذلك، إلا أننا لم ندرك مقصود

المقولة البليغة: " أُكلت يوم أكل الثور الأسود " . فقد بعدنا كل البعد عن رسالة الإسلام السامية، فصرنا غثاء كغثاء السيل، لا نملك إلا الدموع والتحسر والشجب على استحياء، والبكاء على الأطلال، وكأن عقولنا وأرواحنا خلقت لتتوقف أو تتعطل، وخلق الأولون للريادة والقيادة والحزم والحسم .

فكان الإفراز الطبيعي لهذا الصدى العقلي والنفسي الانحسار عن الساحة والاستفزاز والتحدي، ولم يقف الأمر عند حد التطاول على أبناء العقيدة الواحدة على أنحاء خارطة الدنيا بل تسللت الأيدي الخفية لتقوض دعائم الأمة من داخلها، بل وبيد أبنائها، فترى أبناء الرحم الواحد يتقاتلون، بل وتستباح الأموال والأعراض ويقتل الأطفال والنساء، ويذبح الشباب والرجال ويكبرون، وهم مع ذلك يرفعون راية الإسلام. فالبدائل معدة مسبقاً بحبكة ودراية ودراسة، فلا مانع عند أعداء الإسلام من إعداد خطة محكمة لأقصى اليسار، وأخرى لأقصى اليمين ما دام الأمر في خاتمته تقويض وتفتيت لوحدة الأمة الإسلامية. وأصبح التساؤل: هل هذا هو الإسلام ؟ وهل هذه أمة محمد ؟ هل هذه الدعوة الحق التي أشرقت الأرض بنورها يوماً وأخرجت الإنسانية من غياهب الجهالة والتصحر إلى قمة الهداية والإيثار.

في هذا الزمان كثر من اتخذ الجهل مهاداً، والبدعة وسادا، والهوى عمادا، وادعوا أن ذلك هو الدين القويم، والصراط المستقيم، فرفضوا السنة والجماعة، ووصفوا المعصية بوصف الطاعة، وتركوا السنة وأسبابها، وآثروا البدعة وفتحوا أبوابها، فكانوا دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، كما أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما أخرجه البخاري عن **حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ يَقُولُ : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: « نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ » قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: « قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَــرٍّ؟ قَالَ: « نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْــوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: « هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا » قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ « فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ "** ([61]) .

ومعرفة هذا الزمان وأهله صعب، ففيه من الآفات الدنيوية ما نسأل الله السلامة منه، ففيه قوم يدَّعون أنهم على حالة سنية، من غير دليل قاطع، ولا نور ظاهر ساطع، ويدعون إلى ذلك بحسب إمكانهم، ويمنعون مما سواه كافة إخوانهم، ويقولون إن قبولهم ذلك من قوة إيمانهم، وتحقق إحسانهم، وإن ذلك هو عين الحقيقة، ومنهاج سلوك السبيل والطريقة، وإنما هي طريقة معوجة، وأمور مُلبَّسة مروجة، يغتر بها الجاهل، فيَتْبع، ويحتج بها المتعصب، فيضل ويبتدع، أعاذنا الله مما ابتلاهم به وسلك بنا طريق الحق بفضله، وإنما يظهر الحق في ذلك بالتبصر، ويزول اللبس فيه ويذهب التستر . وقد نبه رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - من مغبة ذلك عندما قال في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول **الله** - صلى الله عليه وسلم - **" هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ " قَالَهَا ثَلَاثًا.** رواه مسلم([62]).

والمتنطعون هم المبالغون في الأمور المتكلفون المتشددون، وروي عنه- صلى الله عليهخه ووسلم - أنه قال: **"يا علي هلك فيك اثنان محب غالٍ ومبغض قالٍ "** ([63]) ؛ فالهلاك ضد النجاة، والهلكى في هذا الحديث صنفان: أحدهما في أقصى اليمين، وهو المحب المغالي في حبه مثل غلاة المتشيعين، وثانيهما في أقصى الشمال وهو المبغض الممعن في بغضه مثل الخوارج ومن على منهجهم من المتعصبين . والخير كل الخير في التوسط والاعتدال في كل الأمور .

إذن فما الذي يجعل المسلم يضع نفســـــه في مواضع الهلاك - والعياذ بالله- ، أليس الله - سبحانه وتعالى – يقول : **(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)** ([64]) ، والجواب أن حكمة الله اقتضت أن يجعل للإنسان أعداء أربعة ، ولكنه أعطاه من الآلات ما إن أحسن قيادتها وصيانتها لم تضره تلك الأعداء ، وهذه الأربعة هي : الشيطان ، والنفس ، والدنيا والهوى ، فالشيطان والعياذ بالله يقول فيه- سبحانه وتعالى- : **(أَلَـمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)** ([65]) ، وقال: **(وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)** ([66]) . وقال عمر - رضي الله عنه - : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَقَامِي فِيكُمُ الْيَوْمَ فَقَالَ **حْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُوا الْكَذِبُ حَتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ عَلَى الشَّهَادَةِ لَا يُسْأَلُهَا , وَحَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ عَلَى الْيَمِينِ لَا يُسْأَلُهَا , فَمَنْ أَرَادَ بَحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ , وَلَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا , وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ "** .[رواه الترمذي والشافعي والحاكم] ، وفي النفس تقول الآية : **" وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ "** ([67]). ويقول الرسول: **" أعدى أعدائك**

نفسك التي بين جنبيك " ، وفي الدنيا تقول الآية : **(وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)** [68] ، **(مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ)** [69] . ويقول الرسول : **" حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ "** [رواه البيهقـــي] ، والهوى وهو مخالفة النص ، وهي التي مدح الله - جل جلاله - رسوله بشأنها : **(وَمَا يَنْطِـــقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)** [70] . وذم من كان من أهلها وحكم عليهم بألا يكونوا مطاعين في الدنيا، فقال - سبحانه وتعالى - : **(وَلَا تُطِـــعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)** [71] . وقال : **(يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)** [72] ، وقال :**(فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)** [73] .

إن تلك الصفات المذمومة إذا ما حازها أهـــل الهوى لتجدنهم أهل ضلالة بعيدين عن الحق ! أمرهـــم شتى، فإذا ما زين لهم الشيطان سوء عملهم فرأوه حسناً، وإذا ما أنشبت الدنيا مخالبها، ودخلت النفس بألوانها السبعة ؛ فإنها الحرب من طرف واحد . والنتيجة في عدة أفلاك :

حب الرياسة والكبر ، و سوء الخلق والأدب ، والجهل .

وهي كلها أفلاك شيطانية ، نعوذ بالله من سوء الخاتمة، ونستطيع أن نلمح ذلك في أحوال بعضهم مع النبي في زمنه ، ففي الحديث في صحيح البخاري **وغيره من الصحاح . ـ كما سبقت الإشارة ـ** عن أَبَي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ، قَـــالَ : **" بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، ـ وَهُوَ قِدْحُهُ ـ، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ"** إنه من غير

شك سوء تعامل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي قال فيه ربه - سبحانه وتعالى - : **(لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا)** (74)، وقال- سبحانه وتعالى - : **(وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**)75.

وتلك هي الطامة الكبرى والعياذ بالله، وإذا كان ذلك فيمن نزهه ربه وفي عهده، فكيف بالحال اليوم ؟ فبعض الناس اليوم تجرأ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ذلك الذي قال له : اعدل، إنهم اليوم مخدوعون مستدرجون يظنون أنهم ببعض العبارات التي يقولونها في شأن النبي- صلى الله عليه وسلم - ناجون أو بعيدون من الشرك، إنهم واهمون، كرهوا أن يمدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو أن يُبالغ في مدحه فقفزوا في الجانب الآخر ينقصون من قدره - صلى الله عليه وسلم - فوقعوا في الفتنة والتهلكة، وهو من أسباب الحرمان، ومبادئ ضعف الإيمان، حتى أنه عند البعض لا ينطق بالصلاة على النبي عندما يذكر اسمه وكأنهم لم يقرؤوا قول ربنا جل جلال في محكم التنزيل : **(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)**.(76)

دور التصـــــوّف الإسلامـــــي في الحياة المعاصـــــــرة : إن الأمة الإسلامية اليوم محاصرة بين غربتين : غربة الزمان وغربة المكان . أما غربة الزمان، فهي بعد الأمة عن ماضي حضاري مشرق لم تعد تربطها به عوامل الثقافة الفاعلة أو البانية.

وأما غربة المكان، فهي بعد الأمة عن واقع حضاري معاصر تجهل عنه كل شيء مما مثل فجوات حضارية كبرى، ولا نستطيع أن نخرج من حصار غربة الزمان وغربة المكان إلا من خلال استثمار الأساليب الصوفية التي تركز على بناء الذات الإنسانية من داخلها؛ لأن أنماط السلوك إنما هي تعبير عن محتوى الإنسان الداخلي، فإن لم تُشَكّل الذات الداخلية وتبنى بناءً خيِّراً وسليماً لا يمكن أن يكون البناء الخارجي إلا خاوياً، والأساليب الصوفية تريد أن تجعل سلوك الإنسان المؤمن قائماً على أساس الاختيار اليقظ الواعي بعيداً عن السعادة الآلية التي تجعل من السلوك الإنساني سلوكاً رتيباً لا يعبر عن وعي الإنسان وارتباطه بخالقه ، وكم هو سهل هدم الموقف الإنساني والانسحاب من الفعل مهما يكن خيِّراً ضخماً عندما يبنى هذا الفعل على أساس من الآلية والاعتياد بعيداً عن الوعي والقناعة والاتجاه الذاتي اليقظ؛ لذلك يحرص التصوف الإسلامي على تثبيت قواعد الفعل في أعماق الذات الإنسانية، ليضمن الاستمرار على فعل الخير وبناء الحياة الإنسانية ، والأساليب الصوفية لا تكتفي برأسمال المنهج السلوكي وبيان الدافع الذي ينبغي أن يؤدي إليه، لكنها تعمل على تهيئة النفوس وإعدادها

عملياً لتتحول المبادئ النظرية إلى واقع عملي، بالتالي ليرتبط الدافع بالسلوك ذلك الارتباط المبتغى.

إن العالم الإسلامي اليوم تهب عليه عواصف هوجاء من التوجهات العنيفة المتناقضة التي تتستر تحت شعار الدين، والتي يحاول كل منها أن يفرض نفسه على غيره بوصفه الأفضل والأمثـــل والأقدر على الســـيطرة والاستئثار بالموارد الطبيعية التي أخذت تنضب بتضخم هذا العالم لاستغلالها في إشباع حاجة أتباعها وإذلال غيرهم من البشر ، وليس من الصّـــواب أن نؤجّـــج بين هذه الطوائف أو نحارب طائفة وننـاصر أخرى، بيد أنه إذا نظرنا إلى المصلحة العامة الآن بالذات، فإن علينا أن نلج من باب واحد نصحح المُسار خاصـــة في هذه الآونة العصيبة ، ونحن نرى عـــدواً شرساً يتربص بنا ويعمد إلى تشتيت جمعنا، وفـــي هذا الجـــو العاصف يحتاج العالم الإســـلامي أشـــدَّ الحاجة إلـــى عامل ملطف لهذا العنف ، قادرٍ على التقريب بين هذه الأهواء المتضاربة المدمرة وتحقيق نوع من التوازن بينها يمكن معه أن يحمل البشر على إعادة التفكير والتدبير، وإبعاد هاجس العدوان والسيطرة والحقد عن نفوسهم التي توجهت هذه الوجهة الشريرة.

هذا العامل هو التصوف الذي طالما تجافته المجتمعات البشرية وحصرته في زاوية صغيرة ضيقة تحُدُّ من نشاطه وتقصره على العامة السذج من الناس، في حين أن فيه من الطاقات والقوى ما يستطيع معها القيام بدور أكثر بكثير مما انحصر فيه وأُلجِئ إليه .فالتصوف الإسلامي من أول نشأته يمتاز بالتسامح الديني الشديد.

ما أحوجنا اليوم إلى العودة إلى أخلاق المصطفى، وإلى منهج التواصي بالحق والتناصر وإنكار الذات، والتوحد في قلب رجل واحد وترك زيف الجاه والمنصب فكله أمر زائل، ولن نلتمس هذا إلا في ميدان التصوف الحق الذي يرتقي بالروح والنفس فترى الحقيقة صافية الرونق مجلوة الأفق فكلنا إلى الله، فلنعد الزاد بمجاهدة النفس لنحظى بالرضـــوان .

ومن المقترحات حول هذا الموضوع المهم، والذي أرى فيه ضرورة في هذا العصر ما يأتي :

1- التعريف بعلم التصوف والتزكية وأصولها؛ وذلك عن طريق الكتابة حول هذا الموضوع أو عن طريق اختيار الكتب المفيدة العلمية التي كتبت في هذا الموضوع لأهل هذا الفن الشريف وإعادة طبعها ونشرها بين الشعوب الإسلامية .

2 ـ إزالة الشبهات التي تثار حول هذا العلم وأهله بين حين وآخر، وأن يتصدى لها المختصون بهذا العلم، وأن يكتبوا المقالات العلمية ونشر هذه البحوث في المجلات الدينية.

3 ـ أن يقوم جماعة من أهل هذا الفن بتنقيح التصوف مما أدخل فيه أدعياؤه، فكانوا سبباً للإساءة إليه، وهم الذين أعطوا الفرصة للمخالفين أن ينالوا منه .

4 ـ إثبات الوجود الحقيقي للتصوف والصوفية، وإعادة النشاط الروحي للمجتمع الإسلامي بأن يقوم أصحاب القلوب وأئمة هذا العلم ومشايخه بتدريب الشباب المسلم على تزكية النفوس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل، وتربيته على حب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وعلى العبادة والذكر والتسبيح والاستغفار ومراقبة الله سبحانه وتعالى وعلى الإخلاص والخلق الكريم حتى تتكون جماعات من الشباب في كل مكان يعشقون ذكر الله .

فلْنُعِد ترتيب البيت المسلم، لْنُعِد للأخلاق الإسلامية مكانتها، لْنُعِد أبناءنا لحظيرة الإسلام الحق، لكي نتكاتف جميعاً لمواجهة العدو الأكبر اللدود الذي لن يستكين، فالصهيونية العالمية ومن ورائها أمريكيا وراء كل ما نحن فيه من فرقة وضياع، قال الله – تعالى - **(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)** . 77)

وجب علينا أن نربي أبناءنا تربية تجعل منهم أناسا ايجابيين وتؤهلهم للعطاء، وتنمّي فيهم القدرة على مواجهة الصعاب، ونعدّهم إعداداً ناضجاً لممارسة الحياة بالطريقة التي يرسمها ويخطط لها الإسلام، نخلق فيهم شخصية متزنة لا يطغى على موقفها الانفعال، ولا يسيطر عليها التفكير المادي ولا الانحراف الفكري ، نربيهم تربية تبني الإنسان على أساس وحدة فكرية ، سلوكية عاطفية متماسكة على أساس من التناسق ، تربية تجعل الإنسان يشعر دوماً أنه مسؤول عن الإصلاح وفعل الخـــير.

الهوامـــــــــــــش :

1 ـ ســـورة الشورى، الآيـــة : 11
2 ـ سورة ق ،الآية: 15
3 ـ سورة الأعراف ، الآية 99
4 ـ سورة هود، الآية 15، 16
5 ـ سورة الإسراء، الآية 18، 19
6 ـ سورة الأحزاب، الآية 28، 29
7 ـ ابن حنبل، كتاب الزهد، مكتبة أنس بن مالك، مصر 1400 هـ، ص12، 22
8 ـ ـ أبوطالب المكي، قوت القلوب في معالجة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، طبع مصطفى البابلي الحلبي وشركاؤه، ج1، ص517، 527
9 ـ ابن حنبل، الزهد، مصدر سابق، ص 285
10 ـ أبوالفرج ابن الجوزي، تلبيس إبليس، طباعة إدارة الطباعة المنيرية (د.ت)، ص 155 .
11 ـ ابن حنبل، الزهد، مصدر سابق، ص 15
12 ـ عدنان حسين العوادى ، الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1979، ص 39، 46
13 ـ شمس الدين الذهبي ، دول الإسلام، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة المصريـــة العامة للكتاب، 1974، 1 / 129 .
14 ـ أبوعلي أحمد مسكويه، تجارب الأمم، مطبعة الكردي، 1915، 6/ 37
15 ـ أبوالفدا إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، 11 / 122، 237
16 ـ في ذلك . انظر : البداية والنهاية لابن كثير 11 / 127، 128، 159، 175، 182، 322 . ودول الإسلام للذهبي، 144، 154، 160، 164
17 ـ ابوالحسن على بن الحسين المسعودي، مروج الذهب بهامش الكامل لابن الأثير، 9 / 217، 220
18 ـ احمد أمين، ضحى الإسلام، دار النهضة المصرية، ط 9، 1977، ص 132، 133 . وأيضاً . آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبدالهادي أبوريدة، جـ 2، 1941، ص 64 - 67
19 ـ أبوطالب المكي، قوت القلوب، 2/ 599
20 ـ السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق : نورالدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1986، ص 340
21 ـ السلمي، طبقات الصوفية ،نفس المصدر، ص 328
22 ـ نفس المصدر، ص 346
23 ـ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدس، القاهرة، جـ 2، 1350 هـ، ص 128
24 ـ أبوبكرالكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق :احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص ص 19، 20
25 ـ سورة الكهف، الآية : 46
26 ـ سورة يونس، الآيتان : 57 - 58
27 ـ ـ سورة يونس، الآية : 85

28 ـ المعجم الأوسط للطبراني، ج1، تحقيق : طارق بن عوضالله بن محمد، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين ـ القاهرة، 1415، ص275
29 ـ سورة الملك، الآية : 2
30 ـ إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، ج2، مؤسسة الرسالة، ط3، 1423، ص 250
31 ـ سورة الطور، الآية : 48
32 ـ صحيح البخاري حسب ترقيم فتح الباري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ،رقم الحديث 2446 / 3، دار الشعب القاهرة، الطبعة الأولى .
33 ـ سورة الحشر، الآية : 9
34 ـ الخلاصة في بيان رأي شيخ الإسلام ابن تيمية، جمعه وعلق عليه وفهرسه : علي بن نايف الشحود، ج1، ص 235 ،
35 ـ سورة الحجرات، الآية : 13
36 ـ أبو القاسم عبدالكريم القسيري، الرسالة القشيرية، تحقيق عبدالحليم محمود، محمود الشريف، دار الكتب الحديثة، ج1، ص 107
37 ـ عبدالرحمن السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق نورالدين شريبة، القاهرة، 1953، ص 122
38 ـ أبوحامد الغزالي، المقصد الأسنى، شرح أسماء الله الحسنى، مكتبة الكليات الأزهرية، ص 102، 103
39 ـ عبدالحميد عبدالمنعم مدكور، نظرات في التصوف الإسلامي، دار الثقافة العربية، 1993، ص 79
40 ـ أبوطالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، طبع مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1961، 2 / 159
41 ـ سورة الحجرات، الآية : 13
42 ـ القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، 1424، ص 35
43 ـ أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم ظلم المسلم، 8 \ 11، رقم الحديث 6708، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ،دار احياء التراث العربي، بيروت .
44 ـ سورة الشعراء، الآيتان : 88، 89
45 ـ سورة الأعراف، الآية : 33
46 ـ سورة الأنعام، الآية : 151
47 ـ صحيح مسلم، باب شعب الإيمان، 1/ 46 رقم 161
48ـ مسند احمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة ـ القاهرة، رقم الحديث 8939 \ 2
49 ـ الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، رقم الحديث، 8342 \ 8، دار الحرمين، القاهرة، 1415
50 ـ مختصر صحيح مسلم، باب أمر البعوث بالتيسير، حديث رقم 1112
51 ـ سورة القلم، الآية : 4
52 ـ مسند أبي يعلى، رقم الحديث، 4382 \ 4
53 ـ أبوعبدالرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي، طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية ،بيروت، الطبعة الأولى، 1419، ص 59
54 ـ صحيح مسلم، رقم الحديث 2585 \ 4
55 ـ سنن ابن ماجه، تعليق محمد خليل، رقم الحديث 3933 \ 5، مكتبة أبي المعا طي .

56 ـ سورة آل عمران، الآية : 110
57 ـ صحيح مسلم، رقم الحديث، 6751 \ 8
58 ـ المصنف في الأحاديث والآثار : أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ) تحقيق : كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة: الأولى، 1409
، ومحمد بن عبدالوهاب، الكبائر، وزارة الشئون الإسلامية الأوقاف والدعوة الإرشاد، السعودية، ط2، 1420، ص: 226
59 ـ أخرجه البخاري في صحيحه، باب من ترك قتال الخوارج، 1/ 1746 رقم 3610، الطبعة الهندية .
60 ـ مسند الشهاب أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي المصري (المتوفى: 454هـ) تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، 1407 - 1982
61 ـ البخاري مع فتح الباري، 16 / 144
62 ـ مختصر صحيح مسلم، باب : هلك المتنطعون ، رقم الحديث 1824
63 ـ نهج البلاغة للشريف الرضي .
64 ـ سورة البقرة، الآية : 195
65 ـ سورة يس، الآية : 60
66 ـ سورة البقرة، الآية : 168
67 ـ سورة يوسف، الآية : 53
68 ـ سورة الكهف، الآية : 28
69 ـ سورة الشورى، الآية : 20
70 ـ سورة النجم، الآيتان : 3، 4
71 ـ سورة الكهف، الآية : 28
72 ـ سورة النساء، الآية : 135
73 ـ سورة القصص، الآية : 50
74 ـ سورة النور، الآية : 63
75 ـ سورة الحجرات، الآية : 2
76 سورة الأحزاب، الآية : 56
77 ـ سورة الرعد، الآية : 11